

دفاع

عن هشام بن الحكم

دراسة تحقيق علمية في الأحاديث التي اتهم بها
في التجسيم والتشبيه

د يحيى عبد الحسن الدوخي

الناشر : مجلة الثقلين الصادرة عن المجمع
العالمي لأهل البيت عليهم السلام .
العدد / الثاني والستون - لسنة ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م .

فهرست المحتويات

- ٧ خلاصة المقالة
- ٧ الدكتور القفاري يتهم هشام بن الحكم بالتجسيم
- ٧ التحقيق

الجهة الأولى

هشام بن الحكم في السقف التاريخي وتراجم الرجال

- ١٥ هشام بن الحكم في التراجم الرجالية
- ١٧ خلاصة أقوال ممن ترجم له
- ١٧ ١- شهادة النجاشي بكونه حسن التحقيق
- ١٨ ٢- إنه من خواص أصحاب الامام موسى بن جعفر عليه السلام ...
- ١٨ ٣- الامام الصادق عليه السلام دعا له بكونه مؤيداً بروح القدس ...
- ١٨ ٤- فتق الكلام وهذب المذهب، والعلامة يدفع عنه الشبهات في كتابه الكبير
- ١٩ ٥- البرقي يتهمه وابن داود يدافع عنه
- ١٨ ٦- السيد الخوئي يضعف الروايات، والحسد هو الدافع
- ٢٠ نسبتها إليه

الجهة الثانية

الروايات التي اتهم بها هشام بن الحكم بالتجسيم ومناقشتها

- ١- رواية علي بن أبي حمزة: ٢٢
- المناقشة: ٢٢
- ٢- رواية محمد بن الفرغ الرخجي: ٢٣
- المناقشة: ٢٣
- ٣- رواية محمد بن الحكيم: ٢٤
- المناقشة: ٢٤
- ٤- رواية محمد بن زياد: ٢٥
- المناقشة: ٢٥
- ٥- رواية عبد الرحمن الحماني: ٢٦
- المناقشة: ٢٦
- ٦- رواية الصقر بن أبي الدلف: ٢٨
- المناقشة: ٢٨
- ٧- رواية إبراهيم بن محمد الخزاز: ٢٨
- المناقشة: ٢٩
- خلاصة ما تقدم ٢٩

الجهة الثالثة

أدلتها وقرائن تنفي عن هشام بن الحكم شبهة التجسيم

- ١- مفهوم الجسمية عند هشام تعني (الشيء) ولا تعنى أن له أبعاد وأعراض وغير ذلك ٣١
- ٢- هشام يلزم الآخرين ويعارضهم دون الاعتقاد بذلك الإلزام. ٣٤
- ٣- رواية هشام عن الامام الصادق بنفي التجسيم ٣٦
- ٤- الرائد للحق والدافع للباطل لا يكون مجسماً ٣٦
- ٥- الأميني يرد على الشهرستاني دعوة التجسيم المنسوبة لهشام ٣٧
- رؤية الشيخ المفيد لهذه المقالة ٣٩
- الجواب : ٤٠

الجهة الرابعة : نتيجة وحكم

- ١- التأريخ يبرؤه من هذه التهمة ٤١
- ٢- وكذلك أهل الرجال ٤١
- ٣- شهادات ووثائق تنزهه عن شبهة التجسيم ٤٢
- ٤- ضعف جميع الروايات التي وصفته بهذه التهمة ٤٢
- ٥- القرائن والدلائل تبطل هذه الشبهة التي ألصقت به ٤٢

خلاصة المقالة:

في هذه الدراسة سلطنا الضوء حول شخصية عملاقة وكبيرة في سماء التشيع، كثر الجدل عليها في التراث الشيعي لاسيما في الروايات التي تنسب إليه وفيها تهمة التجسيم والتمثيل والتشبيه بالخالق جل ذكره، ألا وهي شخصية هشام بن الحكم . مما حدا ببعض أن يرمي التشيع بهذه الفرية ومن هؤلاء هو الدكتور القفاري^(١). الذي نقل عن أشياخه كابن تيمية وعبد القاهر البغدادي هذه الشبهة .

ولتوضيح هذا الأمر واستجلاء الحقيقة بجميع أبعادها وزواياها، وجدنا أنفسنا ملزمين بتأصيل هذا الموضوع وبيانه بصورة تحقيق علمية، متبعين في ذلك المنهج الحديثي الاستقرائي التحليلي للروايات، ومناقشتها سنداً ودلالةً وفق

(١) الدكتور ناصر القفاري، كاتب وأستاذ في العقيدة في جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية.

الموازين المتبعة في مباني الجرح والتعديل، ومن ثم استخلاص النتيجة النهائية بما يتلاءم ويتوافق مع معطيات البحث .

الدكتور القفاري يتهم هشام بن الحكم بالتجسيم
لقد اتهم الدكتور القفاري هشام بالتجسيم وهذا ما نجده في كتابه (أصول مذهب الشيعة) ناقلاً عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال:

«وقد حدد شيخ الإسلام ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء فقال: وأول من عرف في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم»^(٢).
ثم أردف كلامه بنقل كلام آخر، قائلاً:

« يقول عبد القاهر البغدادي: زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه .. الخ»^(٣).

التحقيق:

ليس من العدل والإنصاف أن تُتهم الشيعة بهذا الوصف، فهم

(٢) ناصر القفاري، أصول مذهب الشيعة: ج ٢ ص ٦٤٠. الناشر: دار الرضا - الجيزة، ط٣، ١٤١٨ هـ

(٣) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٦٤٠

بعيدون كل البعد عما أُلصق بهم من تهمة التجسيم والتشبيه، وقد حفلت آثار أئمة الشيعة وعلمائهم بما ينفي هذا الكلام جملة وتفصيلاً^(٤).

ومن الغريب أن الدكتور القفاري يستشهد بكلام ابن تيمية ولم يلتفت إلى كتب شيخه التي أشبعت بهذا الأمر وكأنه بعيد عن هذا الفكر الذي عاش في أحضانه ونشأ وترعرع منذ نعومة أظفاره ينهل منه، ومسألة التجسيم هي واحدة من تلك المسائل التي آمن بها ودافع عنها .
يقول الأستاذ سعيد فودة :

(٤) قال أمير المؤمنين عليه السلام: أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به. وكمال التصديق به توحيده. وكمال توحيده الإخلاص له. وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله. ومن جهله فقد أشار إليه. ومن أشار إليه فقد حده. ومن حده فقد عدّه، ومن قال فيم فقد ضمنه. ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم. مع كل شيء لا بمقارنة. وغير كل شيء لا بمزايلة. فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه... إلى آخر خطبته « نهج البلاغة، محمد عبده، ج ١ ص ١٥-١٦، الناشر: دار الذخائر. قم- إيران .
فهذه الكلمات العظيمة والدقيقة تندفق من فم سيد الموحدين وإمام المتقين تنفي كل الصفات التي تطرأ على الذات الإلهية، فمن وصفه بالجسم فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه، فمن لوازم الوصف الثنية والعدد والحد والجزء، وكلها لوازم باطلة، فهو جلت قدرته فوق ما يصفه الواصفون.

« موقف الوهابية من التجسيم ونفي تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، صار مشهوراً معلوماً، فهم يثبتون لله تعالى الحد والجهة، وقيام الحوادث بالله تعالى، والجلوس على العرش بمماسة والحركة النقلة... الخ، ولا شك أن هذا الاعتقاد مخالف بجملته لاعتقاد أهل السنة والجماعة، وقد تبع الوهابية في هذا الاعتقاد إمامهم الأول ابن تيمية، فعنه أخذوا كل ذلك، وفهموا كلامه من شروحات تلميذه ابن قيم الجوزية. فليرجع إلى كتاب نقض أساس التقديس، لابن تيمية ومنهاج السنة، وغيرها من الكتب، وقد كتبتُ عدة كتب في هذا المقام أثبتُّ فيها أن ابن تيمية قائل بالتجسيم ولوازمه، وأنه مخالف للأشاعرة جملةً وتفصيلاً، وأن له مذهباً كاملاً يدعو إليه، وليست أقواله هذه مجرد شطحات أو زلات قلم كما يحلو للبعض أن يتوهم»^(٥).

ومع هذا كله نجد الدكتور القفاري يتهم الشيعة بهذه الفرية التي لا نصيب لها من الصحة .

براءة هشام بن الحكم من تهمة التجسيم

أما ما اتهم به هشام بن الحكم فهي تهمة لا مبرر لها وسوف

(٥) سعيد فودة: من محاضرة له بعنوان: السلفية المعاصرة وأثرها في تشييت المسلمين.

نضعها على طاولة البحث ونقيّمها حسب المعايير العلمية
والموضوعية، لذا سيقع البحث في أربعة جهات جهات:
الجهة الأولى: بيان حال هشام بن الحكم في السقف
التاريخي وتراجم الرجال.
الجهة الثانية: ملاحظة الروايات التي يستشف منها التجسيم
والتشبيه التي اتهم بها، ومناقشتها سنداً ودلالة .
الجهة الثالثة: أدلة وقرائن على براءة هشام بن الحكم من
التجسيم .
الجهة الرابعة: إعطاء نتيجة وحكم موضوعي لهذه الشبهة .

الجهة الأولى :

هشام بن الحكم في السقف التاريخي وتراجم الرجال

أما التاريخ فيحدثنا أنه كان من متكلمي الشيعة وبطائهم وهو أحد كبار الشيعة الإمامية، ومن عظماء أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الذي فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب وسهّل طريق الحجاج فيه.

فهو يعد من الشخصيات الكبيرة والفذة في تاريخ التشيع، وقد شهد له بذلك أحمد أمين بقوله: «فيظهر أنه أكبر شخصية شيعية في علم الكلام.. وكان جدلاً، قويّ الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدلّ على حضور بديهته وقوة حجته..»^(٦).

وكان مناظراً قل نظيره فله جولات وصولات مع المعتزلة وغيرهم، فكان جدلاً قوي الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، فكان بحق حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب سريع البديهة. قال الشهرستاني:

(٦) أحمد أمين، ضحى الإسلام: ج ٣ ص ٢٦٨. الناشر: مكتبة النهضة - مصر .

« وهذا هشام صاحب غور في الأصول، لا ينبغي أن يغفل عن إزماته على المعتزلة، فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه وذلك انه الزم العلاف فقال: انك تقول الباري تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في انه عالم بعلم، ويباينها في أن علمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالمين، فلم لا تقول انه جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالأقدار إلى غير ذلك »^(٧).

وهنا هشام استخدم أسلوب الإلزام والكناية مع احد علماء المعتزلة وهو العلاف، فقال له لم لا تقول إن الله جسم لا كالأجسام، وصورة لا كالصور، فهو لم يتبنى هذا الرأي بل أورده مورد الإلزام وهو يريد أن يقول له أن الله ليس كمثل شئ ففقر له ذلك بهذا الكلام. ونعتقد أن شبهة التجسيم نشأت من هذا القول الذي أُلزم به المعتزلة .

وقد اختلف في تاريخ الرجل فهناك من ادعى أنه كان في أول مشواره العلمي ديصاني من أصحاب شاكر الديصاني، وهذا ما نقله ابن تيمية في منهاج السنة:

قال: « هشام بن الحكم مولى كندة، نشأ في أحضان أبي شاكر الديصاني الزنديق، وكان من غلمانه، ومن بيثة أبي شاكر رضع

(٧) الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١ ص ١٨٥، الناشر: دار المعرفة - بيروت .

أفاويق الإلحاد والزندقة والتجسيم»^(٨).

ولكن هذه الدعوى باطلة جزماً، فلم يحدثنا التأريخ عن مثل هذه العلاقة بين الرجلين، وإن وجدت فلم يتأثر بها هشام بن الحكم، كما سيأتي في مناقشتنا للروايات التي تركها لنا التراث العقدي والفقهي.

ثم ادعي انه اعتنق مذهب الجهمية ورئيسهم هو الجهم بن صفوان، ولكن يبدو أن آراء الجهم لم تكن عميقة الجذور في تفكير هشام بن الحكم، ولم نجد لها أثراً كبيراً فيه، ووجدنا هشاماً خالف قول الجهم في خمود الدارين الجنة والنار وسكونهم، فالجهم يقول إنهم يصيرون إلى سكون دائم، بينما هشام يذهب إلى خلودهم. ولم يع التأريخ شيئاً عن تفصيل التحاقه بالجهم، ولا كيف كان ذلك^(٩).

وكذلك ادعي أنه اعتنق مذهب الإمامية لتأثره بفكر الامام الصادق عليه السلام وهاله ما رآه من حكمته وعلمه وذلك عندما سأله أبو عبد الله عليه السلام عن مسألة فحار فيها هشام وبقي ساكناً، فسأله هشام أن يؤجله فيها فأجله أبو عبد الله، فذهب هشام فاضطرب

(٨) الذهبي، منتقى منهاج الاعتدال: ص ٢٤. شبكة المشكاة الإسلامية.

(٩) انظر: هشام بن الحكم، عبد الله نعمة: ص ٦٠. الناشر: دار الفكر اللبناني - بيروت، ط ١٤٠٥ هـ.

في طلب الجواب أياما فلم يقف عليه ، فرجع إلى أبي عبد الله فأخبره أبو عبد الله بها ، وسأله عن مسائل أخرى فيها فساد أصله وعقد مذهبه ، فخرج من عنده مغتماً متحيراً ، قال : فبقيت أياماً لا أفيق من حيرتي .

قال عمر بن يزيد : فسألني أن استأذن له على أبي عبد الله فاستأذنت له ، فقال أبو عبد الله : لينتظرنني في موضع ، سماه بالحيرة لألتقي معه فيه غدا .. فلما بصرت به وقرب مني هالني منظره ، وأرعيني حتى بقيت لا أجد شيئاً أتفوه به ، ولا انطلق لساني لما أردت من مناطقته ، ووقف علي أبو عبد الله ملياً ينظر ما أكلمه ، وكان وقوفه علي لا يزيدني ، إلا تهيباً وتحيراً ، وتيقنت أن ما أصابني من هيبته لم يكن إلا من قبل الله عز وجل ، من عظم موقعه ومكانه من الرب الجليل . قال عمر : فانصرف هشام إلى أبي عبد الله وترك مذهبه ودان بدين الحق ، وفاق أصحاب أبي عبد الله كلهم^(١٠) .

وأي ما قيل في تأريخه فهو ذلك المدافع عن أهل بيت النبوة بقلبه ولسانه ، والتأريخ لا يمكن أن يحجب هذه الحقيقة التي تنزهه مما لصق به ، وقد قيّمه الامام الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام

(١٠) الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٥٢٩. الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١٤٠٤ هـ

بالنزاهة وصلابة المعتقد والمذهب وهذا ما سوف نطرقه في
كلمات تراجم الرجال .

هشام بن الحكم في التراجم الرجالية

والآن سوف نضع هشام بن الحكم في ضوء كلام أهل الخبرة
من هذا الفن ، ثم نستنتج خلاصة ما قالوه في هذا الرجل .
قال النجاشي في رجاله: « وكان ثقة في الروايات، حسن
التحقيق بهذا الأمر»^(١١) .

قال الشيخ الطوسي في الفهرست: « كان من خواص سيدنا
ومولانا موسى بن جعفر عليهما السلام ، وكانت له مباحثات كثيرة
مع المخالفين في الأصول وغيرها . وكان له أصل.. له من
المصنفات كتب كثيرة ، منها : كتاب الإمامة ، وكتاب الدلالات
على حدوث الأشياء ، وكتاب الرد على الزنادقة ، وكتاب الرد
على أصحاب الاثنيين ، وكتاب التوحيد»^(١٢) .
وذكره في رجاله في أصحاب الامام الصادق^(١٣) .
وقال ابن النديم: « من جلة أصحاب أبي عبد الله جعفر بن

(١١) النجاشي ، رجال النجاشي: ص ٤٣٤. الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين قم، ط ٥، ١٤١٦ هـ .

(١٢) الطوسي، الفهرست: ص ١٥٨. الناشر : مؤسسة نشر الفقاهة، ط ١ ١٤١٧ هـ .

(١٣) الطوسي، رجال الطوسي: ص ٣١٨. الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين قم - ١٤١٥ هـ

محمد الصادق عليهما السلام. وهو من متكلمي الشيعة الإمامية، وبطائنتهم، وممن دعا له الصادق عليه السلام، فقال أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. وهو الذي فتق الكلام في الأمة وهذب المذهب، وسهل طريق الحجاج فيه»^(١٤).

وقال العلامة الحلي: «روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، وكان ثقة في الروايات، حسن التحقيق بهذا الأمر، ورويت مدائح له جليلة عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب.. ثم قال: ورويت روايات أخر في مدحه، وأورد في خلافه أحاديث ذكرناها في كتابنا الكبير واجبنا عنها. وهذا الرجل عندي عظيم الشأن رفيع المنزلة»^(١٥).

وقال ابن داود الحلي في رجاله، مدافعاً عن هشام: «مع أني لا استثبت ما قاله البرقي قدحاً فيه؛ لأن حال عقيدته معلوم وثناء الأصحاب عليه متواتر، وكونه تلميذ الزنديق لا يستلزم اتباعه في

(١٤) ابن النديم، الفهرست: ص ٢٤٩. الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

(١٥) العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، ص ٢٨٨ - ٢٨٩. الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، ط ١، ١٤١٧ هـ.

ذلك، فإن الحكمة تؤخذ حيث وجدت، وقوله وهو جسمي ردئ
يحتمل عوده إلى أبي شاعر لا إليه»^(١٦).

وقال السيد الخوئي: « وإني لأظن الروايات الدالة على أن
هشاماً كان يقول بالجسمية كلها موضوعة، وقد نشأت هذه النسبة
من الحسد، كما دل على ذلك رواية الكشي بإسناده عن سليمان
بن جعفر الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن
هشام بن الحكم، قال: فقال (رحمه الله) : كان عبداً ناصحاً
وأوذى من قبل أصحابه حسدا منهم له»^(١٧).

خلاصة أقوال ممن ترجم له

من خلال ما تقدم من أقوال أهل الخبرة في المجال التراجمي
الرجالي، نستنتج التالي:

١- شهادة النجاشي بكونه حسن التحقيق

قال: كان ثقة في الروايات حسن التحقيق في هذا الأمر،
ويقصد بكونه حسن التحقيق في هذا الأمر، أي أن رواياته موافقة
لرأي المذهب ولا يوجد في أصوله وكتبه ما يخالف الأصول

(١٦) ابن داود الحلبي، رجال ابن داود: ص ٢٠٠. الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية
- النجف الأشرف.

(١٧) الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٢٠ ص ٣٢١ ط ٥.

والقواعد العامة التي قررها أهل البيت عليهم السلام، ومعلوم أن مذهب أهل البيت قائم على التنزيه المطلق وعدم التشبيه. إذن هذه شهادة من النجاشي بسلامة هشام بن الحكم من التشبيه والتجسيم بدليل قوله أنه حسن التحقيق .

٢- إنه من خواص أصحاب الامام موسى بن جعفر عليه السلام إن لفظ الخواص يطلق على الإنسان المقرب إليه جداً، فلو وجد الامام الكاظم عليه السلام شائبة التجسيم عند هشام لدمه على ذلك، بل نجد أن المديح هي الصفة التي تلازم هشام من الامام الصادق والكاظم عليهما السلام.

٣- الامام الصادق عليه السلام دعا له بكونه مؤيداً بروح القدس

إن هشاماً من جلة أصحاب الامام الصادق عليه السلام، والامام دعا له أنه مؤيد بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، وهذه مرتبة عظيمة لم ينلها إلا المخلصون الذين وصلوا إلى مرتبة عالية وسامية من المعارف الإلهية لا يمكن أن يشوبها من يُعرف بالتجسيم أو التشبيه .

٤- فتق الكلام وهذب المذهب، والعلامة يدفع عنه الشبهات في كتابه الكبير.

إن هشاماً كان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر.. وهذه العبارة نقلها ابن النديم والعلامة الحلبي، فالذي يصل إلى مرحلة تهذيب المذهب في الكلام، لا يقال عنه مجسّم إطلاقاً، بل هو من أزاح غبار الشبهات عن المذهب، ومنها التجسيم، لذا نجد عبارة العلامة اللاحقة لكلامه :

«ورويت روايات أخر في مدحه، وأورد في خلافه أحاديث ذكرناها في كتابنا الكبير وأجبنا عنها. وهذا الرجل عندي عظيم الشأن رفيع المنزلة» فالعلامة يدافع عنه في كتابه الذي اسماه بالكبير وأجاب عما الصق بهشام من تهمة مفتراة لا أصل لها. ثم اعتبره عظيم الشأن رفيع المنزلة.

وهذه شهادة ثانية من العلامة الحلبي بسلامة عقائد هشام بن الحكم وإنه ذو شأن ومنزلة رفيعة .

5- البرقي يتهمه وابن داود يدافع عنه

إن البرقي قد اتهم هشاماً إنه من أصحاب الديصاني الزنديق، ولكن هذه التهمة دفعها ابن داود بقوله: «حال عقيدته معلوم وثناء الأصحاب عليه متواتر، وكونه تلميذ الزنديق لا يستلزم اتباعه في ذلك، فإن الحكمة تؤخذ حيث وجدت وقوله وهو جسمي ردئ يحتمل عوده إلى أبي شاعر لا إليه»^(١٨).

(١٨) ابن داود الحلبي، رجال ابن داود: ص ٢٠٠.

فمن كانت عقيدته معلومة عند الشيعة وثناء علمائهم متواتر بصحة عقائده ومنها آراؤه الكلامية، حينئذ فلا اعتبار بقول البرقي؛ لأنه لا تلازم بين كونه تلميذاً، وأنه يعتنق آراء أبي شاعر، فان الحكمة تؤخذ حيث وجدت.

وما قاله من شبهة التجسيم فلعلها ترجع إلى من يقول بها وهو أبي شاعر، لذا قال ابن داود: هشام بن الحكم لا مرأى في جلالتة لكن البرقي نقل فيه غمراً لمجرد كونه من تلاميذ أبي شاعر الزنديق، ولا اعتبار بذلك، وان كان قد وقع في ألفاظه شئ يؤول يخرج عن الطعن لبعده عن الشبهة^(١٩).

وهذه شهادة ثالثة ببراءته من شبهة التجسيم .

٦- السيد الخوئي يضعف الروايات، والحسد هو الدافع لنسبتها إليه.

السيد الخوئي أيضاً أعطى شهادة ببراءته من تهمة التجسيم حينما قال بعدم ظنه في الروايات التي وصفت هشاماً بالتجسيم، ووصفها بأنها كلها موضوعة ومجعولة وسبب هذا الوضع ومنشؤه هو الحسد والبغض لهشام.

بدليل قول الامام الرضا عليه السلام عندما سُئل عنه قال: رحمه الله أنه كان عبداً ناصحاً وأوذي من قبل أصحابه حسداً

(١٩) المصدر نفسه: ص ٢٨٤.

منهم له (٢٠).

فالإمام الرضا عليه السلام ترخم عليه ونزهه عن هذه الشبهة .
والنتيجة أن هناك شهادات براءة تنأى بهشام بن الحكم عن
تهمة التجسيم التي أثارها حاسدوه ومبغضوه.
ولنتقل إلى الروايات التي أدعي أن هشاماً مجسماً لعرضها
على علم الرجال والدراية لمناقشتها بموضوعية وإعطاء نتيجة
واضحة من خلال دراستنا لها .

(٢٠) الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٥٤٧، الاردبيلي، جامع الرواة: ج ٢ ص ٣١٣. الناشر: مكتبة المحمدي.

الجهة الثانية:

الروايات التي اتهم بها هشام بن الحكم بالتجسيم ومناقشتها

١- رواية علي بن أبي حمزة:

روى الشيخ الكليني: بإسناده: «عن علي بن أبي حمزة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جسم صمدي نوري.. فقال عليه السلام: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثله شيء.. ولا تدركه الحواس ولا يحيط به شيء، ولا جسم ولا صورة»^(٢١).

المناقشة:

يكفينا في سقوط هذه الرواية وعدم اعتبارها أن فيها علي بن أبي حمزة الباطني، فهو أحد أعمدة الواقفية. قال الشيخ الطوسي في عدة مواضع: أنه واقفي. وقال أبو الحسن علي بن الحسن بن فضال: علي بن أبي حمزة كذاب واقفي، متهم ملعون، وقد رويت عنه أحاديث كثيرة وكتبت عنه تفسير

(٢١) الكليني، الكافي: ج ١ ص ١٠٤. الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران. ط ٥، ١٣٦٣ ش.

القرآن كله من أوله إلى آخره إلا أنني لا أستحل أن أروي عنه حديثاً واحداً^(٢٢).

وقال ابن الغضائري: علي بن أبي حمزة لعنه الله أصل الوقف، وأشد الخلق عداوة للولي من بعد أبي إبراهيم عليه السلام^(٢٣).
فقوله ضعيف ولا يقدر في جلالته قدر هشام بن الحكم الذي رأينا شهادات علماء الرجال بوثاقته ومدح الأئمة له.

٢- رواية محمد بن الفرغ الرخجي:

وروى أيضاً بسنده: «عن علي بن محمد، رفعه عن محمد بن الفرغ الرخجي، قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم، وهشام بن سالم في الصورة، وكتب عليه السلام: دع عنك حيرة الحيران، واستعد بالله من الشيطان، ليس القول ما قاله الهشامان»^(٢٤).

المناقشة:

وهذه الرواية أيضاً ضعيفة وغير معتبرة؛ لكونها مرفوعة، فهناك واسطة مجهولة. أضف إلى ذلك أن الشيخ المجلسي ناقش دلالة هذه الرواية، قال: «فقد قيل: إنهما قالوا بجسم لا كالأجسام، وبصورة لا كالصور، فلعل مرادهما بالجسم

(٢٢) الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٧٠٦. الحلبي، خلاصة الأقوال: ص ٣٣٤.

(٢٣) خلاصة الأقوال، العلامة الحلبي: ص ٣٦٣.

(٢٤) الكافي: ج ١ ص ١٠٥.

الحقيقة القائمة بالذات، وبالصورة الماهية، وإن أخطأ في إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى»^(٢٥).

وعلى كل حال فالرواية لا يعتمد عليها فهي ضعيفة .

٣- رواية محمد بن الحكيم:

وروى كذلك بسنده: «عن محمد بن أبي عبد الله ، عمن ذكره ، عن علي بن العباس، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن الحكيم ، قال : وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام بن سالم الجواليقي وحكيت له قول هشام بن الحكم أنه جسم. فقال : إن الله تعالى لا يشبهه شيء ، أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة»^(٢٦).

المناقشة:

وهذه الرواية أيضاً ضعيفة ولا قيمة لها؛ لكونها مرفوعة وكذلك فإن فيها علي بن العباس الجراذيني الرازي، قال النجاشي : رمي بالغللو وغمز عليه ، ضعيف جداً^(٢٧).

وقال ابن الغضائري : علي بن العباس الجراذيني أبو الحسن الرازي : مشهور ، له تصنيف في الممدوحين والمذمومين يدل

(٢٥) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٨٨. الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت، ط ٢ ١٤٠٣ هـ.

(٢٦) الكليني، الكافي: ج ١ ص ١٠٥.

(٢٧) النجاشي، رجال النجاشي : ص ٢٥٥.

على خبثه وتهالك في مذهبه، لا يلتفت إليه ولا يعبأ بما رواه^(٢٨).

٤- رواية محمد بن زياد:

وروى بسنده: «عن محمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن إسماعيل، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن سعيد، عن عبد الله بن المغيرة، عن محمد بن زياد، قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، وقلت له: إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً، إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً، فزعم أن الله جسم... فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويحه أما علم أن الجسم محدود متناه»^(٢٩).

المناقشة:

وهذه الرواية أيضاً ضعيفة؛ لأن فيها بكر بن صالح، قال النجاشي: بكر بن صالح الرازي، مولى بني ضبة، روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، ضعيف^(٣٠). وقال ابن الغضائري والعلامة: ضعيف جداً، كثير التفرد بالغرائب^(٣١).

(٢٨) الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ١٣ ص ٧٢.

(٢٩) الكليني، الكافي: ج ١ ص ١٠٦.

(٣٠) النجاشي، رجال النجاشي: ص ١٠٩.

(٣١) أحمد بن الحسين الغضائري، رجال الغضائري، ص ٤٤، الناشر: دار الحديث، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

٥- رواية عبد الرحمن الحمانى:

وروى بسنده: «عن محمد بن أبى عبد الله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن العباس ، عن الحسن بن عبد الرحمن الحمانى ، قال : قلت لأبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: إن هشام بن الحكم زعم أن الله جسم ليس كمثل شئ فقال عليه السلام : قاتله الله، أما علم أن الجسم محدود» (٣٢).

المناقشة

وهذه الرواية ضعيفة؛ لأن فيها علي بن العباس ضعيف متهالك في مذهبه ، لا يلتفت إليه ولا يعاب بما قال، كما تقدم آنفاً، وأما ما ورد من كلام الامام بدمه فهو يتناقض مع المدح الذي أورده الامام في بعض الروايات، فلا بد من حمل هذا الكلام إما على التقية، أو أن نحمل هذه الكلمة (قاتله الله) على المدح فالعرب والعرف آنذاك تستخدم هذه المفردة على نحو الكناية كما في قولهم: «قاتله الله ما أكرمه» وهي كلمة تجرى على اللسان وتستعمل من غير قصد إلى ما وضعت له، بل تدعم

الحلى، خلاصة الأقوال: ص ٣٢٧.

(٣٢) الكليني، الكافي: ج ١ ص ١٠٦.

بها العرب كلامها كقولهم لا أم له، لا أب له تربت يداه، قاتله
الله ما أشجعه، وعقرى حلقي وما أشبه ذلك^(٣٣).

(٣٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ج ٩ ص ٧٤. الناشر: دار الكتاب العربي -
بيروت.

٦- رواية الصقر بن أبي الدلف :

روى الصدوق بسنده عن الصقر بن أبي دلف، قال: «سألت أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن التوحيد، وقلت له: إني أقول بقول هشام بن الحكم، فغضب (عليه السلام) ثم قال: ما لكم ولقول هشام، إنه ليس منّا من زعم أن الله عزّ وجلّ جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، يا بن أبي دلف، إن الجسم محدث والله محدثه ومجسّمه»^(٣٤).

المناقشة:

وهذه الرواية ضعيفة أيضاً؛ لأن الصقر بن أبي دلف الكرخي مجهول الحال من حيث الوثيقة .

٧- رواية إبراهيم بن محمد الخزاز

روى الصدوق بسنده: « عن علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق، قال : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي، عن الحسين بن الحسن ، عن بكر بن صالح ، عن الحسين بن سعيد عن إبراهيم بن محمد الخزاز، ومحمد بن الحسين عن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن

(٣٤) الصدوق، توحيد الصدوق: ص ١٠٤. الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.

الحسين، قال: دخلنا على أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، فحكينا له ما روي أن محمداً (صلى الله عليه وآله) رأى ربه في هيئة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة، رجلاه في خضرة، وقلت: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد، فخر ساجداً، ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك...»^(٣٥).

المناقشة:

وهذه الرواية فيها من الضعفاء والمجهولين ما يسقطها عن الاعتبار.

فأبو بكر بن صالح كما تقدم أنه ضعيف جداً، كثير التفرد بالغرائب^(٣٦)، كما أن علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق مجهول، وكذلك الحسين بن الحسن وهو الدينوري وهو مجهول أيضاً.

خلاصة ما تقدم

(٣٥) الشيخ الصدوق، توحيد الصدوق: ص ١١٣-١١٤.

(٣٦) العلامة الحلي، خلاصة الأقوال: ص ٣٢٧.

هذه تقريباً مجموع الروايات التي قيلت بحق هشام بن
الحكم وقد اتضحت الخدشة في أسانيدھا، فلا يمكن
التعويل عليها أو أن تُجعل سبباً لذمه واتهامه بهذه الشبهة .

الجهة الثالثة:

أدلتا وقرائن تنفي عن هشام بن الحكم شبهة التجسيم

هناك أدلة وقرائن تنفي شبهة التجسيم عن هشام بن الحكم نبرزها بما يلي:

١- مفهوم الجسمية عند هشام تعني (الشيء) ولا تعني أن له أبعاد وأعراض وغير ذلك.

إن مفهوم الجسمية عند هشام له مصطلح آخر يختلف عما هو متعارف والذي من لوازمه الطول والعرض والعمق. فليس المراد هو التجسيم المعنوي الحقيقي لمعنى الجسم المادي. فإطلاق مقولة أنه (جسم لا كأجسام) على البارئ تعالى، يريد أن يصورها هشام بن الحكم بمعنى (شيء لا كالأشياء) المأخوذة من قوله تعالى (ليس كمثله شيء) فحقيقة الشيئية مفهوم مشترك بين الله تعالى وغيره كما في بعض الصفات المشتركة بينهما كالرازق والعالم وغيرها، ولكن في هذا الأمر يمتاز البارئ عز وجل بخاصية وجودية قائمة بذاتها لا توجد في سائر الأشياء الأخرى لا تشبهه ولا يشبهها، فمن حيث

إثبات الشيئية له يخرج عن حد التعطيل، ومن حيثية نفي المثل
له جل وعلا يخرج عن حد التشبيه بغيره من الأشياء.
وبهذا يثبت التنزيه الكامل لله تعالى من غير تعارض بين
المقولتين .

لذا نجد أن السيد الخوئي يرى أن هشاماً أخطأ في إطلاق
المصطلح والاستعمال، ولم يخطأ في الاعتقاد، فاعتقاده صحيح
ولا غبار عليه، قال:

«على أنا لو سلمنا أن هشاماً كان يطلق لفظ الجسم على الله
سبحانه، فهو كان مخطئاً في الإطلاق، وفي استعمال اللفظ في
خلاف معناه، ولم يكن هذا خطأ باعتقاده .

يدلنا على ذلك ما تقدم من رواية محمد بن يعقوب بإسناده .
عن الحسن بن عبد الرحمان الحماني، أن هشام بن الحكم زعم
أن الله جسم ليس كمثل شئ، لأنه نفى المماثلة. يدلنا أنه لا يريد
كلمة الجسم معناها المعهود، وإلا لم يصح نفي المماثلة، بل يريد
معنى آخر غير ذلك، وإن كان قد أخطأ في هذا لم يصح نفي
المماثلة، بل يريد معنى آخر غير ذلك»^(٣٧).

وكذلك نقل هذا المفهوم الأشعري وابن أبي الحديد بمعنى
أنه شئ قائم بذاته.

(٣٧) الخوئي، معجم رجال الحديث: ج ٢٠ ص ٣٢٠ - ٣٢١.

قال أبو الحسن الأشعري في المقالات:

«وقال هشام بن الحكم معنى الجسم أنه موجود، وكان يقول إنما أريد بقولي جسم أنه موجود وأنه شيء وأنه قائم بنفسه»^(٣٨).

وقال ابن أبي الحديد:

« فأما من قال: إنه جسم لا كالأجسام، على معنى أنه بخلاف العرض الذي يستحيل أن يتوهم منه فعل، ونفوا عنه معنى الجسمية، وإنما أطلقوا هذه اللفظة لمعنى أنه شيء لا كالأشياء، وذات لا كالذوات، فأمرهم سهل، لأن خلافهم في العبارة، وهم: علي بن منصور، والسكاك، ويونس بن عبد الرحمن، والفضل بن شاذان، وكل هؤلاء من قدماء رجال الشيعة، وقد قال بهذا القول ابن كرام وأصحابه، قالوا: معنى قولنا فيه سبحانه إنه جسم، أنه قائم بذاته لا بغيره»^(٣٩).

إذن هناك اصطلاح خاص عند هشام بن الحكم وبعض تلامذته في إطلاق لفظ الجسم على الذات الإلهية، ولا نستطيع أن نتهمه بكونه مجسماً؛ لأنها لا تخالف الأصول العقلائية أو الشرعية، نعم قد يقال أن الجسم هو أسم الله وهذا مرتبط

(٣٨) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين: ص ٣٠٤، ط ٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣٩) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٢٢٨، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

بتوقيفية أسماء الله تبارك وتعالى، ولكن هذا بحث آخر. وقد
جوز بعضهم هذا المعنى^(٤٠).

قال ابن حزم:

«ولو أتانا نص بتسميته تعالى جسماً لوجب علينا القول بذلك،
وكنا حينئذ نقول إنه لا كالأجسام، كما قلنا في عليم وقدير
وحي»^(٤١).

٢- هشام يلزم الآخرين ويعارضهم دون الاعتقاد بذلك

الإلزام

عندما كان يناظر هشام بن الحكم المعتزلة وغيرهم، أحد
أساليبه المتبعة مع الخصم إلزام الآخرين ببعض ما قالوه، وهذا
لا يعني أنه يؤمن بذلك الإلزام، فعندما ألزم العلاف وقال له:
فلم لا تقول أنه جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور، فهذا
من باب إلزام الخصم وليس بالضرورة أن يؤمن ويعتقد به،

(٤٠) وهذا ما نجده في كلمات الجبائي، قال: «إن العقل إذا دلّ على أنّ الباري عالم
، فوجب أن نسّميه عالماً، وإن لم يسمّ نفسه بذلك، إذا دلّ على المعنى، وكذلك
في سائر الأسماء. وخالفه البغداديون - من المعتزلة - فزعموا أنه لا يجوز أن نسّمى
الله عزّ وجلّ باسم قد دلّ على العقل على صحّة معناه إلا أن يسمّى نفسه بذلك..»
انظر: مقالات الإسلاميين: ج ١ ص ٥٢٥.

(٤١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج ٢ ص ٩٣، الناشر: مكتبة
الخانجي - القاهرة.

وهذا واضح عند أرباب المناظرات وهشام من أبرز المناظرين
بشهادة كثير من العلماء كما تقدم في أعلام التراجع.
قال المرتضى في كتابه الشافي: «إنه أورد ذلك على سبيل
المعارضة للمعتزلة . فقال لهم : إذا قلت إن القديم تعالى شئ لا
كالأشياء ، فقولوا : إنه جسم لا كالأجسام .
وليس كل من عارض بشئ وسأل عنه يكون معتقداً له ،
ومتديناً به ، وقد يجوز أن يكون قصد به إلى استخراج جوابهم
عن هذه المسألة . ومعرفة ما عندهم فيها ، أو إلى أن يبين
قصورهم عن إيراد المرضى في جوابها . إلى غير ذلك»^(٤٢) .
وقال الشهرستاني: «لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على
المعتزلة، فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ، ودون ما يظهره
من التشبيه ، وذلك أنه ألزم العلاف فقال : إنك تقول الباري
تعالى عالم بعلم . وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنه عالم
بعلم ويباينها في أن علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين فلم لا
تقول : أنه جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور ، وله قدر لا
كالأقدار»^(٤٣) .

(٤٢) السيد المرتضى، الشافي في الإمامة: ج ١ ص ٨٤ الناشر : مؤسسة إسماعيليان -
قم، ط ٢، ١٤١٠هـ .

(٤٣) الشهرستاني، الملل والنحل: ج ١ ص ١٨٥. الناشر : دار المعرفة - بيروت - لبنان

ومن الغريب أننا نجد أن الشهرستاني يعترف بهذا الأمر ولكنه اتهمه بأمور لا تليق بمكانته العلمية . على أن أكثر التهم وردت على لسان الجاحظ والشهرستاني وهي لا تلزما .

٣- رواية هشام عن الامام الصادق بنفي التجسيم.
لو فرضنا أن هشاماً كان يؤمن بمقالة التجسيم فلماذا يروي عن أئمة عليهم السلام بعض الروايات التي تنفي هذه الشبهة.
فقد روى الكليني: «عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمرو، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه قال للزندق حين سأله : وقال : فتقول إنه سميع بصير ، قال عليه السلام : هو سميع بصير، سميع بغير جارحة ، وبصير بغير آلة ، بل سميع بنفسه، وبصير بنفسه»^(٤٤) .
وهذا فيه دلالة واضحة أنه لا يؤمن بمقالة التجسيم، وإلا لما كان يروي هذا الكلام عن الامام الصادق عليه السلام .

٤- الرائد للحق والدافع للباطل لا يكون مجسماً.
من غير المعقول أن من يكون مدافعاً عن الحق وناصراً له أن يتهم بكونه مجسماً أو مشبهاً، فقد تقدم في بعض الروايات أن الامام الصادق قال بحقه : هشام بن الحكم رائد حقنا ، وسائق

(٤٤) الكليني، الكافي: ج ١ ص ١٠٩.

قولنا ، المؤيد لصدقنا ، والدافع لباطل أعدائنا، من تبعه وتبع أمره تبعنا . وقوله: هذا ناصرنا بقلبه ويده ولسانه^(٤٥) .

وكذلك عندما سأل الامام الصادق عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها (إلى أن قال) : أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل (وتناقل) به أعداءنا المتخذين مع الله عز وجل غيره ؟ قلت : نعم ، فقال : نفعلك الله به وثبتك يا هشام^(٤٦) .
فمن غير المعقول والمنطقي أن يقدمه الامام إلى المحاجة والمناظرة وهو يعلم أن هشاماً ممن يعتقد بالتجسيم والتشبيه .

٥- الأميني يرد على الشهرستاني دعوة التجسيم المنسوبة لهشام
الشيخ الأميني في رده على الشهرستاني الذي ادعى أن هشاماً مجسماً ، قال :

« هذه عقائد باطلة عزاها إلى رجالات الشيعة المقتضين أثر أئمتهم عليهم السلام اقتصاص الظل لذيده، فلا يعتنقون عقيدة ولا ينشرون تعليماً ولا يبثون حكماً ولا يرون رأياً إلا ومن ساداتهم الأئمة على ذلك برهنة دامغة، أو بيان شاف، أو فتوى سديدة، أو نظر ثاقب .

(٤٥) انظر: الشافي في الإمامة : ج ١ ص ٨٥

(٤٦) الكليني، الكافي : ج ١ ص ٨٧

على أن أحاديث هؤلاء كلهم في العقائد والأحكام والمعارف الإلهية مبنوثة في كتب الشيعة تتداولها الأيدي، وتشخص إليها الأبصار، وتهش إليها الأفتدة، فهي وما نسب إليهم من الأقاويل على طرفي نقيض، وهاتيك كتبهم وآثارهم الخالدة لا ترتبط بشئ من هذه المقالات بل إنما هي تدحرها وتضادها بالسننة حداد . وإطراء أئمة الدين عليهم السلام لهم بلغ حد الاستفاضة، ولو كانوا يعرفون من أحدهم شيئاً من تلكم النسب لشنوا عليهم الغارات، كلائة لمأهم عن الاغترار بها كما فعلوا ذلك في أهل البدع والضلالات .

وهؤلاء علماء الرجال من الشيعة بسطوا القول في تراجعهم وهم بقول واحد ينزهونهم عن كل شائنة معزوة إليهم، وهم أعرف بالقوم من أضدادهم البعداء عنهم الجهلاء بهم وبترجمتهم ، غير مجتمعين معهم في حل أو مرتحل .

وليس في الشيعة منذ القدم حتى اليوم من يعترف أو يعرف بوجود هذه الفرق هشامية . زرارية . يونسية . المتممية عند الشهرستاني ونظرائه إليهم ككثير من الفرق التي ذكرها للشيعة^(٤٧) .

(٤٧) الأميني، الغدير: ج١ ص١٤٣ . الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت . ط ٤، ١٣٩٧ هـ .

فالأميني رحمه الله يردع القائلين بتهمة التجسيم لهشام وينزعه عن ذلك، ونعتقد أن الأميني آمن بأن هشاماً وإن قال بالتجسيم كمصطلح واستعمال، ولكنه لا يقصد التجسيم المعنوي ذو الأبعاد المادية والكتل الجسمية من أعراض وحيز ومكان و طول وعرض وعمق، بل كما قلنا سابقاً أنه يقصد بأن مقولة (جسم لا كأجسام) بمثابة قول (شئ لا كالأشياء) فصور الجسم كالشئ اصطلاحاً ولفظاً.

أي أنه يثبت وجود الباري تعالى بكونه شئ، ولكن في نفس الوقت يخرج عن حدّ التعطيل، وكذلك (لا كأجسام) أي (لا كالأشياء) فينفي عنه تبارك ذكره كلّ شبه للأجسام، و مماثلة بينه وبينها، فهو إخراج له تعالى عن حدّ التشبيه، كما تدلّ عليه الآية الكريمة: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٤٨).
فهذه الآية نفت عن وجوده تعالى المماثلة لغيره من الأشياء.
. وهذا هو التنزيه الكامل الذي ليس فيه شائبة التجسيم.

رؤية الشيخ المفيد لهذه المقالة

يبقى شئ واحد وهو قول الشيخ المفيد رحمه الله الذي قد يتشبه به البعض بأن هشاماً يرى التجسيم.

(٤٨) الشورى: ١١.

قال: «لم يكن في سلفنا من تدين بالتشبيه من طريق المعنى، وإنما خالف هشام وأصحابه جماعة أصحاب أبي عبد الله عليه السلام بقوله في الجسم فزعم أن الله جسم لا كالأجسام»^(٤٩).

الجواب:

قد طرحنا نظرتنا في هذا الأمر والتي تنأى بهشام عن هذه الشبهة، فقول الشيخ المفيد بالمخالفة فيها شئ من المسامحة، ولعلنا نستفيد من عبارته: إنَّ هشاماً خالف «بقوله في الجسم» لا إنَّه خالف «في القول بالجسم»، فهذا المفهوم خالف فيه هشام جميع الشيعة كمصطلح ليس إلا، وهو تفسير مختص به؛ لكثرة مناظراته ومجادلاته مع الخصم فيشتق بعض المصطلحات التي لا تعبر بالضرورة عن معتقده كما تقدم، ولا يقصد منه التجسيم بمعناه المعنوي.

(٤٩) المفيد، الحكايات: ص ٧٧-٧٨. الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

الجهة الرابعة : نتيجة وحكم

بعد ما تقدم نستنتج ونلخص الأمور التالية :

١- التاريخ يبرؤه من هذه التهمة .

إن التاريخ لا يستطيع أن يثبت لنا أن هشاماً كان مجسماً بل نجد أن هناك تضارباً في أحواله، بل على العكس حدثنا بكونه شخصية كبيرة لها وزنها العلمي، فهو يعد من أبرز المناظرين الذين قل نظيرهم في التاريخ الإسلامي لاسيما في ميدان العقيدة والكلام، فله صولات وجولات ومنازلات مع المعتزلة وغيرهم ودافع عن مذهب أهل البيت وقواعده التي تتسم بالتنزيه المطلق الذي لا يشوبه التجسيم .

٢- وكذلك أهل الرجال .

إن التراجم الرجالية حدثنا عن أن هذا الرجل بعيداً كل البعد عما اتهم به، فهو يعد من متكلمي الشيعة وبطائهم وهو الثقة في الروايات، ومدحه أئمة الشيعة كالإمام الصادق والكاظم عليهما السلام في أكثر من موقع، وترحم عليه الامام الرضا وعلل من وصفه بهذه الشبهة بالحسد منهم له .

٣- شهادات ووثائق تنزهه عن شبهة التجسيم.

ذكرنا شهادات تنزهه عن شبهة التجسيم، كما في قول النجاشي، أنه حسن التحقيق، وقلنا إن المراد من هذا الوصف أن ما يؤمن ويعتقد به هشام مطابق للمذهب وأصوله وقواعده المبتنية على التنزيه بجميع أبعاده .

وكذلك شهادة العلامة الحلبي الذي دافع وأجاب عما اتهم به في كتابه الكبير، ومن ثم وصفه بالرجل العظيم الشأن والرفيع المنزلة .

وكذلك شهادة ابن داود الذي قال عنه، أن حال عقيدته معلوم وثناء الأصحاب عليه متواتر، وكذلك شهادة السيد الخوئي ببراءته من هذه التهمة حينما قال: بعدم ظنه في الروايات التي وصفت هشاماً بالتجسيم ووصفه بأنها كلها موضوعة ومجعولة، وسبب هذا الوضع هو الحسد والبغض لهشام .

٤- ضعف جميع الروايات التي وصفته بهذه التهمة .

ناقشنا جميع الروايات التي اتهم بها، وقد اتضح أنها واهنة وضعيفة ولا ترتقي إلى الاعتبار .

٥- القرائن والدلائل تبطل هذه الشبهة التي ألصقت به.

ثم استدللنا على نفي هذه الشبهة بأدلة وقرائن تنزهه عما اتهم به ، نذكر منها: أنه أورد هذا المفهوم أي الجسم بمعنى الشئ لفظاً لا معنى وكذلك أورد هذا المصطلح على نحو الإلزام دون الاعتقاد به ، وغير ذلك من القرائن .
إذن نستطيع أن نحكم من خلال بحثنا أن هشاماً يعد من العلماء الكبار الذين لهم الباع الكبير في الدفاع عن المذهب، وهذا المذهب قائم على نفي التجسيم والتشبيه، فهذه الشبهة لا يمكن أن يتلبس بها هشام رضوان الله عليه بمقتضى ما تقدم من مجموع بحثنا .

والحمد لله رب العالمين ..